١٦٢

دم مهدر

[الطويل]

وعـــارٍ مِـــنَ الأَزْيـــاشِ كـــاسٍ مِـــنَ الـــهَـــوَى
مِـــنَ الـــمـــالِ مِـــعْـــدَامٍ لـــئـــيـــمِ الـــخَـــلائِـــقِ[١]
تُـــرَى هـــل أَتَـــى لَـــيْـــلَـــى بِـــعَـــزْمَـــةِ صـــادِقٍ
كـــمـــا هـــاجَ بـــي مِـــنْ نَـــوفَـــلِ بـــنِ مـــســـاحِـــقِ[٢]؟
إِذا جِـــئـــتُـــهُ فـــي الـــنَّـــاسِ مـــنـــه عـــلـــى الـــرَّجـــا
أَلَـــمَّ بِـــقَـــلْـــبٍ مُـــسْـــتَـــطـــارِ الـــخَـــوافِـــقِ[٣]
أَمِـــنْ أَجْـــلِ هـــذا الـــحُـــبِّ صِـــرْتَ كـــمـــا أَرى؟
فـــقـــلـــتُ: نَـــعَـــمْ، والـــحُـــبُّ مُـــرُّ الـــمَـــذائِـــقِ[٤]
سَـــأُفْـــضـــي إِلـــى سُـــبْـــلِ الـــهَـــلاكِ وإِنَّـــنـــي
لَـــمُـــحْـــتَـــسِـــبٌ راضٍ مـــشـــيـــئَـــةَ خَـــالِـــقـــي[٥]

---

(١) و (٢) يصف الشاعر ما كان عليه يوم التقاه نوفل بن مساحق، وكان قد وعده بمساعدته ليرتبط بليلى، فالشاعر في حالة يُرثى لها، يرتدي لباس الفقراء، ممَّا يؤكد أن أهله قد تخلّوْا عنه، يرتدي الحبّ جلباباً، وفي جوّ اختلاف القيم لا قيمة لجلباب كهذا، وجيوبه فارغة من المال اللازم، وفاقد الشيء لا يُعطيه، لذا لم تُقبل الوساطة، بل هدّده أهل ليلى بالقتل فعاد منكسر الخاطر خالي الوفاض، وقد تخلّى عنه من وعده بالمساعدة أيضاً.

(٣) و (٤) راودته أحلام ودغدغت مشاعره آمال بمجيئه إلى نوفل بن مساحق طالباً العَوْن آملاً خيراً، وهو يحمل بين جوانحه قلباً ملؤه الخوف في حال الفشل، وهذا ما كان. وكان حوار، سأل نوفل الشاعر عن سوء حاله وسببه، فكان الجواب أن الحبّ سبب ذلك، وهو مرّ المذاق.

(٥) يعلن الشاعر استسلامه لقضاء اللّه تعالى وهو راضٍ بما قُدّر عليه، وها هو يسلك درب الموت.

وجـادَ بِـوَعْـدٍ خـالَـطَ الـشَّـهْـدُ طَـعْـمَـهُ
وأَلـقَـى عـلـيـهِ مُـوبِـقـاتِ الـبَـرائِـقِ[١]

* * *

وقـالـوا: وأَيـمِ الـلَّـه لا صـار بـيـنـنـا
إلـى أَنْ تُـزيـلَ الـبِـيـضُ شُـعْـثَ الـمَـفـارِقِ[٢]
وقـالـوا: دَمُ الـمـجـنـونِ فـي الـحَـيِّ مُـهْـدَرٌ
وقـالـوا: اضْـرُبـوا والـقـولُ غَـيْـرُ مُـوافِـقِ[٣]
أَبـى الـلَّـهُ أَرْجُـو الـقُـرْبَ إِلَّا تَـطـايَـرَتْ
بـتـفـريـقِـنـا بـالـبَـيْـنِ سِـرْبُ الـنَّـواعِـقِ[٤]
ولا أَرْتَـجـي يَـوْمـاً مِـنَ الـدَّهْـرِ راحَـةً
أُسَـرُّ بِـهـا إِلَّا رُمِـيـتُ بِـعـائِـقِ[٥]
ولـمـا بـلـغْـنـا الـحَـيَّ والـجـسـمُ نـاحِـلٌ
وقَـلـبِـيَ مَـوجُـوعٌ كـثـيـرُ الـخـوافـقِ[٦]

---

(١) كان من كرم أخلاق نوفل أنه وعده أن يعمل على مساعدته، فإذا بوعده يُفرح كأنه الشهد بلذيذ مذاقه، فبدت بشائر الخير تلوح في أفق حياته.

(٢) البيض: السيوف. شُعث المفارق: يقصد بذلك الرؤوس، كان جواب أهل ليلى الرفض، وأقسموا قطعاً لن يكون الشاعر بينهم حتى تُراق الدماء وتُستلّ السيوف وتقطّع رقاب.

(٣) أجمع القوم على قتل المجنون، وقد تخطّى حدوده ودخل حيّنا؛ فدمه مهدور، ولا قود عليه، لقد حان حينه. وما قيل لا يُقبل مرفوض ولا يُوافق إرادة القوم.

(٤) إنها إرادة اللّه تعالى ألّا يكون لقائي بليلى، فثمّة موانع تحول دون اقترابي منها، وهذا ما يشتفّ من نعيق أسراب الغِربان.

(٥) الدهر دائماً معاند، فما من أمل يدغدغ مشاعر الشاعر ذات يوم ويُحسّسه بشيء من السعادة حتى تتسرّب الأحلام من بين أصابعه وقد حدثت عوائق تعبث بالأمل، فلا يتمّ لقاء.

(٦) ها هما يسلكان آخر رحلة الأمل؛ والحيّ أخذت معالمه تظهر للعيان، فبدأ خفقان =

فـوالـلَّـهِ مـا أَدْرِي أَقَـلْـبـي مُـخَـصَّـصٌ
بِـهـذا فـأَلـقـاهُ بـتـسـلـيـمِ صَـادِقِ[١]
أَمِ الـحُـبُّ فـعَّـالٌ بِـغَـيْـرِي كـمـا أَرى
فـقَـلْـبـي مـنـهـا خَـصَّـهُ بـالـبَـوائِـقِ[٢]
حَـلَـفْـتُ بِـعَـهْـدِ الـلَّـهِ يـا أُمَّ مـالـكٍ
لأَنَّـكِ مِـنْ قَـلْـبـي مَـكـانَ عَـلائِـقـي[٣]
وأَكـثـرُ شَـيْءٍ نِـلْـتُـهُ مـن نَـوالِـهـا
أَمـانِـيَّ لـم تَـعْـلَـقْ كَـبَـرْقَـةِ بـارِقِ[٤]
فـلـلَّـه قَـلْـبٌ فـي الـهَـوَى ذو صَـبـابَـةٍ
ولـلَّـهِ قَـلْـبٌ مِـنْ مَـشـوقٍ وشـائِـقِ[٥]
وإِنِّـي لأَهـوى قُـرْبَ لَـيْـلَـى وَذِكْـرَهَـا
هـوَى صَـادِقٍ فـي الـحُـبِّ غَـيْـرِ مُـنـافِـقِ[٦]

= قلب الشاعر، تتنازعه نوازع شتّى تتأرجح بين الأمل والخيبة، يحملها جسم ناحل قد أضناه الشوق.

(١) يُقسم الشاعر أنّه لا يعلم يقيناً إذا كُتب على قلبه الحرمان والآلام فانصاع لمصيره البئيس دون مقاومة أو ثورة.

(٢) البوائق، واحدتها: بائقة: المصائب. ويتساءل الشاعر هل كلّ من أحبّ يعيش عذاب الحبّ وآلامه أم الأمر يختصّ به دون سواه بالمصائب والويلات؟

(٣) أقسم الشاعر باللّه عزّ وجل لأم مالك بأنّها ترتبط بقلبه وحياته؛ ففيها وجوده، مسرته، عذابه، أمله، حسراته...

(٤) مواعيدها لا تتحقّق، ولا قيمة لها مع كثرتها، فلا نوال ولا صدق؛ فتلك أمانٍ كاذبة، لا طائل منها، لذلك تبرق وتمطر لقاءً.

(٥) يعجب الشاعر من قلبه المدنف المعذّب يملأه الحبّ والشوق إلى من يحبّ.

(٦) يُقرّ الشاعر أنه يُحبّ قرب ليلى ويتذكّرها؛ فحبّه صادق لا نِفاق فيه ولا غاية تشوّهه، وهو خالص لأجل الحبّ.

سـأَصْـبِـرُ لـلـمَـقْـدورِ يـا أُمَّ مـالـكٍ
وأَعـلَـمُ أَنَّ الـصَّـبْـرَ مُـرُّ الـمَـذائِـقِ[١]

١٦٣
القتل الحلال

[الكامل]

إِنَّ الـغَـوانِـيَ قَـتَّـلَـتْ عُـشَّـاقَـهَـا
يـا لَـيْـتَ مَـنْ جَـهِـلَ الـصَّـبـابَـةَ ذَاقَـهَـا[٢]
فـي صُـدْغِـهِـنَّ عَـقـارِبٌ يَـلْـسَـعْـنَـنَـا
مَـا مَـنْ لَـسَـعْـنَ بِـوَاجِـدٍ تِـرْيـاقَـهـا[٣]
إِنَّ الـشِّـفَـاءَ عِـنَـاقُ كُـلِّ خَـرِيـدَةٍ
كَـالْـخَـيْـزُرَانَـةِ لا نَـمَـلُّ عِـنـاقَـهـا[٤]
بِـيـضٌ تُـشَـبَّـهُ بِـالْـحِـقَـاقِ ثُـدِيُّـهَـا
مِـنْ عَـاجَـةٍ حَـكَـتِ الـثُّـدِيُّ حِـقَـاقَـهَـا[٥]

(١) يصمّم الشاعر على مواجهة مصيره بصبر وشجاعة، ولن يحول عن دربه. وهو يعلم، ويُخبر أُمّ مالك أن الصبر علقم طعمه، لا يُستساغ بسهولة، ورغم ذلك فهو ماضٍ في طريقه، مهما امتدّت المسافات في رحلة العذاب.

(٢) يقرّر الشاعر أنّ الفتيات الجميلات يلذّ لهنّ قتلُ عشاقهنّ بتعذيبهم ليكتشفن مقدار ما لديهم من رصيد الحبّ، لذا يتمنّى لهنّ عذاب الحبّ وآلامه، فهنّ في الحقيقة لم يعرفن الحبّ حقًّا، وإن كنّ يدعين ذلك.

(٣) يقصد الشاعر بعقارب: خصل شعورهن المعقوصة على أصداغهنّ. التّرياق: البلسم الشافي من لسع الحيّات السّام. فأصداغهنّ يحملن الموت لمن يقع في حبّهن، ولسعها لا شفاء منه لعدم وجود ترياق فاعل في هذه الحالة.

(٤) يقترح الشاعر مصلاً واقياً لم يجرّبه مع حبيبته؛ فالشفاء بعناق كلّ بكر عذراء حييّة، كأنها الخيزرانة بتناسق جمالها وجسدها الممشوق؛ فتلك نعمة لا يملّ المرء من معانقتها.

(٥) الحقاق، واحدها حُقّ: قنينة الطيب. يصف الخرائد بالبياض لجمالهن، فأثداؤهن =